

الكشاف

" إنا أوحينا إليك " جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء . واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا . وقرئ زبوراً بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب " ورسلا " نصب بمضمر في معنى : أوحينا إينا وهو : أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك . أو بما فسره قصصناهم . وفي قراءة أبيك ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم . وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب : أنهما قرآ " وكلم الله " بالنصب . ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأطفار المحن ومخالبة الفتن " رسلا مبشرين ومنذرين " الأوجه أن ينتصب على المدح . ويجوز انتصابه على التكرير . فإن قلت : كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها ؟ قلت : الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفضيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميماً لإلزام الحجة لئلا يقولوا : لولا أرسلت إينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له . وقرأ السلمي : لكن الله يشهد بالتشديد . فإن قلت : الاستدراك لا بد له من مستدرك فيما هو قوله : " ولكن الله يشهد " ؟ قلت : لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله : " إنا أوحينا إليك " قال : لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد . وقيل : لما نزل " إنا أوحينا إليك " قالوا : ما نشهد لك بهذا فنزل " لكن الله يشهد " ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه : إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات . وشهادة الملائكة : شهادتهم بأنه حق وصدق . فإن قلت : بم يجابون لو قالوا : بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك ؟ قلت : يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته ؛ لأن شهادتهم تبع لشهادته . فإن قلت : ما معنى قوله : " أنزله بعلمه " وما موقعه من الجملة التي قبله ؟ قلت : معناه أنزله ملتبساً بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائق للقدرة . وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنتك مبلغه . وقيل : أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملاً عليه . ويحتمل : أنه أنزل وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة

والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن . ألا ترى إلى قوله تعالى : " وأحاط بما لديهم " الجن : 8 ، والإحاطة بمعنى العلم " وكفى بأبي شهيدا " وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا " قل أي شيء أكبر شهادة قل أنا " الأنعام : 19 .
" إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا " " كفروا وظلموا " جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة " ولا ليهديهم طريقا " لا يلفظ بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم . أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريقها " يسيرا " أي لا صارف له عنه .

" يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بأبي وكيفا "